مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيدُ

السَّبْتِي مَعَارِفِيَّة "بُومَعْرَافْ"

1958 - 1926

مَنْشُورَاتُ الْمَتْحَفِ الْوَطَنِيِّ لِلْمُجَاهِدِ

الشهيد

السبتي معارفية "بومعراف"

1926 - 1958

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2010

ر . د . م . ك : 978-9961-884-74-4
الإيداع القانوني : 2010-4125

المتحف الوطني للمجاهد

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 - 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

جَلسَ طَارِقٌ أَمَامَ التّلفزيـــون لِيُشَاهـدَ شَريطًا تاريخِيًا يَتَحَدَّثُ عَنْ مَعْرَكَةٍ مِن مَعَارِكِ جَيْشِ التَّحْرِيرِ الوَطَنِيّ وَقَعَـتْ بِجَبَل «الكَافْ» القَرِيبِ مِن مَدِينةِ بُوشَقُّوفْ التَّابِعةِ حَالِيًا لِوِلاَيَةِ قَالْمَة.

كَانَ طَارق يَعِيشُ فِي هَذِهِ المَدِينَةِ، ويُزَاوِل دِرَاسَتَه في مَدْرَسَة تَقَعُ في وَسَطِهَا.

وَصَفَ المَعْرَكَـةَ مُجَاهِـدَانِ مِمَّنْ حَضَـرُوهَا، فَقَالَ الأَوَّل:

جَرَتِ المعركةُ في صَبَاحِ يَوْمِ العَاشر من فبْرَايَرْ عَام 1958، واسْتَمَرَّتْ إِلَى اللَّيلِ كَانَ قائِدُنا فِيهَا «السَّبْتِي بُومَعْرَاف» قَائـدُ الفَيْلَـقِ الرَّابــع، كَانَ

فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ يقُودُ كَتِيبَةً مِنْ كَتَائِبِ الفَيْلَقِ، وَفَجْأَةً وَجَدَتِ الكَتِيبَةُ نَفْسَهَا مُحَاصَرَةً مِنْ طَرَفِ قُوَّاتِ العَدُوِّ، فَوَقَعَتْ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ مَعْرَكَةٌ طَاحِنَةٌ؛ وَمَعَ حُلُولِ الظَّلاَمِ حَاوَلَ القَائِدُ الانْسِحَابَ بِالْكَتِيبَةِ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ أَنَّ الذَّخِيرَةَ أَوْشَكَتْ عَلَى النَّفَادِ، إلاَّ أَنَّ مُرَاقَبَةَ العَدُوِّ وَحِصَارَهُ المُحْكَمَ قَدَ صَعَّبَ عَمَلِيَّةَ الاِنْسِحَاب.

وَقَالَ المُجَاهِد الثَّانِي: أَبْلَى المُجَاهِدُون فِي هَذِهِ المَعْرَكَةِ بَلاَءً حَسَنًا، وَوَاجَهُوا العَدُوَّ بِبَسَالَةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِير، رَغْمَ الفَارِقِ الكَبِيرِ فِي الْعَدَدِ وَالعُدَّةِ بَيْنَ الطَّرَفَيْن.

وَفِي اليَوْمِ المُوَالِي اِسْتُؤْنِفَ القِتَالُ بِصُورَةٍ أَشَدَّ مِنَ اليَوْمِ الأَوَّلِ؛ كَانَ مَيْدَانُ المَعْرَكَة يُدَوِّي بِأَصْوَاتِ المَدَافِعِ وَالطَّائِرَاتِ وَطَلَقَات الرَّصَاصِ، وَفِي مُنْتَصَفِ

النَّهَارِ أَصَابَتْ شَظِيَّةٌ قَدِيفةٍ قَائِدَ الكَتِيبَةِ «السَّبْتِي بُومَعْرَافْ» فأسْرَعَ إِلَيْهِ إِخْوَانُــه لِيُسْعِفُــوه، لَكِنَّهــم عَرفُوا أَنَّهُ يَعِيشُ لَحَظَاتِـــه الأَخِيرَةَ فَجَـرَتِ الدُّمُوعُ فِي مَآقِيهِمْ حُزْنًا عَلَى فِرَاقِهِ؛ وَقَبْلَ أَنْ تَصْعَدَ رُوحُهُ الطَّاهِرَةُ إِلى السَّمَاء سَأَلَهُ جُنْدِيٌّ مِنْ جُنُودِه، مَاذَا يُؤْلِمُك؟ فَقَالَ: لاَ أَشْعُرُ بِأَيِّ أَلَم، وَإِنَّمَا أَشْعُرُ بِضُعْفِ قُوَّايَ، ثُمَّ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، وارْتَسَمَتْ عَلَى مُحَيَّاهُ ابْتِسَامَةٌ. عِنْدَمَا أَخْبَرَنِي بِمَا قَالَهُ السَّبْتِي بُومَعْرَاف تَذَكَّرْتُ حَدِيثًا شَرِيفًا يَقُولُ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُم مِنْ مَسِّ القَرْصَة».

وَقُلْتُ: هَنِيئًا لَهُ الفَوْزُ بالشَّهَادَةِ.

تَرَكْنَاهُ هُنَاكَ مُخَضَّبًا بِدِمَائِه، ثُمَّ وَاصَلْنَا القِتَال؛ وَلعَدَمِ التَكَافُؤِ فِي العَدَدِ والعُدَّةِ وَجَدْنَا صُعُوبَةً فِي خُطَّةِ للانْسِحَاب.

كَانَ تَأَثُّرُ المجاهِدِ شَدِيدًا، وهُوَ يَصِفُ مَاحَدَثَ، فَتَأَثَّرَ طَارِقٌ لِذَلِكَ وَعَزَمَ عَلَى كِتَابَةِ نُبْذَةٍ عَن سِيرَةِ الشَّهِيد «السَّبتي بُومَعْرَاف» لِيَنْشُرَهَا فِي المَجَلَّةِ المَدْرَسِيَّةِ الَّتِي تُصْدِرُهَا المؤَسَّسَةُ شَهْرِيا.

اقْتَضَى الحَالُ أنْ يَتَّصِلَ بعَــدَدٍ مِنَ المُجَاهِدِين، وَمِنَ بَيْنِهِمْ «سِي الطَّاهَر» جَدُّ زَمِيلٍ كَانَ يَدْرُسُ مَعَهُ فِي نَفْسِ القِسْم.

طَلَبَ طَارِقٌ مِن زميلِه عَمَّار أنْ يُحَدِّدَ لَهُ مَوْعِدًا مَعَ جَدِّه، فَنَفَّذَ لَهُ طَلَبَهُ؛ وَفِي المَوْعِدِ حَضَرَ الزَّمِيلاَن إِلَى حَيْثُ يَسْكُنُ «سِي الطَاهِر» فَرَحَّبَ بِهِمَا وَاسْتَقْبَلَهُمَا بِفَرَحٍ وَسُرُورٍ.

طارق: هَلْ أنْتَ الَّذِي تَحَدَّثْتَ فِي التِّلِفزْيُون عَن المعْرَكَةِ الَّتِي اسْتُشْهِدَ فِيهَا «السَّبْتِي بُومَعْرَاف»؟

سِي الطَّاهر: نَعَم، هَلْ سَمِعْتَنِي؟

طارق: أجَل، وَقَدْ أثَّرَ فِيَّ حَديثُكَ عَنْهُ كَثيرًا، لِذَلِكَ رَغِبْتُ فِي تَدْوِينِ سِيرَتِهِ، لِيَطَّلِعَ عَلَيْهَا تَلاَمِيذ المؤَسَّسَة الَّتِي أدْرُسُ فِيهَا.

سِي الطاهر: أنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِتَزْوِيدِكَ بِمَا تُرِيدُهُ مِنْ مَعْلُومَاتٍ عَنِ الشَّهِيد.

طَارِق: مَتَى وُلِدَ، وَأيْن؟

سِي الطَّاهِر: وُلِدَ عَام 1926 بِدُوَّار «غَار التُّرْبَة» الَّذِي يَقَعُ بالْقُرْبِ مِن مَدِينَة «سُوق أهْرَاس» نَشَأَ فِي أسْرَةٍ رِيفِيَّةٍ مُتَوَاضِعَة، كَانَت تُمَارِسُ النَّشَاطَ الفِلاَحِيَّ البَسِيط بِالطُّرُقِ التَّقْلِيدِيَّةِ.

عَمَّار: أيْنَ تَعَلَّمَ فِي صِغَرِهِ؟

سِي الطَّاهِر: لَمْ يَدْخل المَدْرَسَة الفَرَنْسِيَّة، وَإنَّمَا تَعَلَّمَ اللُّغَةَ العرَبِيَّة، وَحَفِظَ السُّوَرَ القَصِيرَة مِن القُرْآن فِي الكُتَّابِ (الجَامِع)، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا

غَادَرَه لِيُسَاعِدَ وَالِدهُ عَلَى مُمَارَسَةِ النَّشَاطِ الفِلاَحِي وَالرَّعَوِيّ.

طَارِق: مَتَى عَرَفَ النَّشَاطَ السِّيَاسِيَّ؟

سِي الطَّاهِر: عَرَفَهُ بِمَسْقَطِ رَأْسِهِ عَلَى يَدِ الشَّهِيدِ «خَوَالْدِيَّة عَمَّار» الَّذِي كَانَ لَهُ الفَضْلُ فِي تَجْنِيدِ الكَثِيرِ مِنْ شَبَابِ «غَار التُّرْبة»، انْضَـــمَّ السَّبْتِي بُومَعْرَاف إِلَى خَلِيَّةٍ مِنْ خَلاَيَا حِزْبِ الشَّعْبِ عام 1944، كَانَ يُشْرِفُ عَلَيْهَا «خَوَالدِيَة عَمَّار»، وَكُنْتُ أَنَا عُضْوًا فِي تِلْكَ الخَلِيَّةِ، وَكَانَ خَوَالْدِيَة عَمَّار، يُلْقِي عَلَيْنَا أَثْنَاء الاجْتِمَاعَات خِطَابَاتٍ سِيَّاسِيَّةً يَدْعُونَا فِيهَا إِلَى اليَقَظَةِ، والاسْتِعْدَادِ لِمُوَاجَهَةِ العَدُوِّ الغَاصِبِ لأَرْضِ أَجْدَادِنَا؛ وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقُولُ فِي خِطَابَاتِهِ: لاَ مَكَانَ لِفَرَنْسَا الكَافِرَة فِي أَرْضِ الجَزَائِرِ المُسْلِمَة، كَمَا كَانَ يَقُولُ: لاَ تُقَارِنُوا بَيْنَ

قُوَّةَ العَدُوِّ العَسْكَرِيَّةِ وَمَا عِنْدَنَا مِن السِّلاَح، لأَنَّنَا نَمْلِكُ الإيمَانَ بِالله، وَنَتَحَلَّى بِالصَّبْرِ، وَالله يَقُولُ فِي القُـــــرْآنِ الكَرِيم «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» الآية 249 من سورة البقرة.

بِفَضْلِ هَذِهِ الخِطَابَاتِ الوَطَنِيَّةِ الحَمَاسِيَّةِ نَضِجَ وَعْيُنَا السِّيَاسِي وَتَدَرَّبْنَا عَلَى النَّشَاطِ السِّرِّي، وَشَارَكْنَا فِي مُظَاهَرَاتِ الثامن من ماي 1945 الَّتِي تَصَدَّتْ لَهَا القُوَّاتُ الاسْتِعْمَارِيَة بِوَحْشِيَةٍ فَائِقَة، وَقَتَلَتْ آلاَفَ الجَزَائِرِيينَ مِمَّا أَلْهَبَ مَشَاعِرَ الكَرَاهِيَةِ فِي نُفُوسِنَا ضِدَّ الاسْتِعْمَارِ الظَّالِم وَتَكَوَّنَتْ فِي نُفُوسِنَا رَغْبَةٌ جَامِحَةٌ لِلثَّأْرِ مِنْ فَرَنْسَا الغَادِرَة.

بَعْدَمَا أَنْشَأَ مُنَاضِلُو حِـزْبِ الشَّعْبِ «حَرَكَةَ الانْتِصَارِ لِلْحُرِّيَاتِ الدِّيمُقْرَاطِيَةِ» سنة 1946 انْخَرَطْنَا

فِي صُفُوفِهَا إلى غَايَةِ بِدَايَةِ الثَّورَة.

طَارِق: هَلْ شَارَكَ السَّبْتِي بُومَعْرَافْ في تَفْجِيرِ الثورة؟

سِي الطَّاهِر: كَيْفَ لم يُشَارِكْ فِيهَا؟ وَقَدْ كَانَ قَبْلَ انْدِلاَعِهَا يَرَى أَنَّـــهُ لاَ مَنَاصَ مِنْهَا لِمُوَاجَهَـــةِ عَدُوٍّ مُغْتَصِبٍ تَجَاوَزَ الحُـــدُودَ الحَمْـــرَاء. لَقَدْ بَذَلَ السَّبْتِي بُومَعْرَاف كُلَّ مَا فِي وُسْعِهِ لِتَهْيِئَةِ الظُّرُوفِ المُنَاسِبَةِ لانْدِلاَعِ الثَّوْرَةِ، بِالتَّعَاوُنِ مَعَ خَوَالِدِيَّة عَمَّار، وَلَزْهَرْ شرِيَّطْ، وَعَمَّار جَبَّارْ. شَارَكَ فِي جَمْعِ الأَسْلِحَـــةِ، وَاخْتِيَار الرِّجَال المُدَرَّبِينَ عَلَى اسْتِعْمَالِ السِّلاَحِ، فَلَمَّا وَصَلَ المَوْعِدُ المُنْتَظَرُ الَّذِي نَطَقَ فِيهِ الرَّصَاصُ كَانَ السَّبْتِي ضِمْنَ فَوْجٍ قَادَهُ الشَّهِيدُ عَمَّار جَبَّار، فَشَنَّ هُجُومًا عَلَى ضَيْعَةٍ يَمْلِكُهَا أَحَـدُ المُعَمِّرِينَ بِمَكَان يُسَمَّى «خَنْقَة امْعَيْزَة»، أَتْلَفُوا كَثِيرًا مِنْ

مُحْتَوَيَاتِهَا، ثُمَّ شَرَعُوا فِي تَحْطِيمِ أعْمِدَة الهَاتِفِ وَالكَهْرَبَاء.

عَمَّار: مَا هِيَ العَمَلِيَّاتُ العَسْكَرِيَّةُ الَّتِي شَارَكَ فِيهَا أوْ قَادَهَا بَعْدَ المُشَارَكَةِ فِي هَذَا الهُجُوم؟

سِي الطَّاهِر: شَارَكَ فِي الكَثِير مِنَ العَمَلِيَّات، يَصْعُبُ عَلَيَّ تَذَكُّرُهَا جَمِيعًا الآن، وشَارَكَ فِي نَصْبِ عَدَدٍ مِنَ الكَمَائِنِ ضِدَّ قُوَّاتِ العَدُوّ، وَشَنَّ غَارَاتٍ خَاطِفَةً عَلَى مَرَاكِزِهِ وَمُنْشَآتِه، المُنْتَشِرَة مَابَيْنَ النَّاحِيَةِ الجَنُوبِيَة لِمَدِينَةِ سُوق أهْرَاسْ والنَّاحِيَة الشَّمَالِيَة لِتبسّة.

مَازِلْتُ أتَذَكَّرُ الهُجُومَ الَّذِي قَادَهُ عَلَى مَرْكَزَيْن لِلْعَدُوّ يَقَعَانِ بِقَرْيَةِ «تَاوْرَة» التَّابِعَةِ حَالِيًا لِوِلاَيَةِ سُوقْ أهْرَاسْ. وَقَعَ الهُجُوم فِي صَيْفِ عَام 1955

الَّذِي شَنَّ فِيهِ زِيغُود يُوسُفْ هُجُومًا شَامِلاً عَلَى مَرَاكِزِ العَدُوِّ وَتَجَمُّعَاتِهِ وَمُنْشَآتِهِ بِالشَّمَالِ القَسَنْطِينِي، أَسْفَرَ الهُجُومُ عَلَى المَرْكَزَيْنِ عَن خَسَائِرَ مَادِيَّة وَبَشَرِيَّة فِي صُفُوفِ العَدُوّ.

بَعْدَ هَذَا الهُجُوم تَعَاقَبَتِ انْتِصَارَاتُ القَائِدِ السَّبْتِي بُومَعْرَاف عَلَى العَدُوِّ فِي العَدِيدِ مِنَ العَمَلِيَّاتِ الَّتِي قَادَهَا، إِلَى دَرَجَةِ أَنَّ مُجَرَّدَ ذِكْرِ اسْمِهِ صَارَ يُثِيرُ الخَوْفَ وَالهَلَع فِي صُفُوف قُوَّاتِ العَدُوّ، كَانَ جُنُودُهُ يُكِنُّونَ لَهُ الحُبَّ وَالاحْتِرَامَ، لِمَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ أَخْلاَقٍ نَبِيلَةٍ وَشَجَاعَةٍ نَادِرَة، تَحَلَّى بِهَا أَغْلَبُ جُنُودِه.

وَمِنَ المَعَارِكِ، الَّتِي تَذَكَّرْتُهَا الآنَ: مَعْرَكَةً وَقَعَتْ فِي جوِيلْيَة عَام 1956 قُبَيْلَ انْعِقَادِ مُؤْتَمَر الصُّومَامْ بِشَهْرٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، قَادَهَا السَّبْتِي بُومَعْرَاف، تَمَّ فِيهَا

إِسْقَاطُ طَائِرَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ بِسِلاَحٍ بَسِيطٍ، وَتَتْوِيجًا لِهَذِهِ الاِنْتِصَارَاتِ تَمَّتْ تَرْقِيَتُه إِلَى رُتْبَةِ مُلاَزِمٍ أَوّلٍ نَائِبِ لِقَائِدِ الفَيْلَقِ الثَّالِثِ فِي نُوفَمْبَرَ عَامِ 1957.

وَفِي الشَّهْرِ المُوَالِي لِهَذِهِ التَّرْقِيَةِ قَادَ مَعْرَكَةً وَشَنَّ هُجُومَيْنِ عَلَى مَرْكَزَيْنِ مِنْ مَرَاكِزِ العَدُوِّ يَقَعَانِ فِي جَبَلَيْ وَلاَّلْ وَالوَاسْطَا.

وَفِي عَامِ 1958 التَحَقَ بِكَتِيبَةٍ مِنَ الفَيْلَقِ الرَّابِعِ كَانَتْ مُتَمَرْكِزَةً بِجَبَلِ الكَافْ حَيْثُ وَقَعَتِ المَعْرَكَةُ الَّتِي اسْتُشْهِدَ فِيهَا نَتِيجَةَ الشَّظِيَّةِ المَلْعُونَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ. بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ وَاصَلَ المُجَاهِدُونَ القِتَالَ رَغْمَ كَثْرَةِ الشُّهَدَاءِ وَقِلَّةِ الذَّخِيرَةِ فَبَلَغَتْ بُطُولاَتُهُمْ حَدَّ الأُسْطُورَةِ!

المَجْدُ وَالخُلُودُ لِشُهَدَائِنَا الأَبْرَارْ